والا (Bouvreuil) المسطر بالاسود مع الابيض او الاصفر . . وسربات من العصافير الصخّابة لونها ازرق ولمانها معدني وهي بحجم الشحرور . . والهُدهُد المتنوّع الالوان . ولاسع الثور (Pique-boeuf) وهو عصفور دموي رفيع المنقار يحطّ على الماشية ويتمكن على ظهرها بخالبهِ ثمَّ يغرز فيها منقارهُ ليمتصّ الدم (لهُ بقية)

ناصيف المعلوف وأُسرتهُ

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف .

مدرّس آداب اللغة العربيَّة والخطابة في المدرسة الشرقيَّة في زحلة (تابع)

٥ عودة ناصيف الى لبنان

وفي صيف سنة ١٨٤٨ قدم ازمير بعض السيَّاح الاوربيين شاخصين الى سوريَّة لتفقُّد آثارها القديمة وأبنيتها الفخيمة التي كانوا يقرأون وصفها ممَّن سبقهم اليها من الاوربيين روَّام الآثار وروَّاد الآفاق . فبحثوا عن ترجمان يعرف العربيَّة وبعض اللغات الاوربيَّة ليكون ترجمانهم في سياحتهم فأُرشدوا الى ناصيف . ولما عرفوا انهُ سوري لبناني ورأوا بعض مؤلفاتهِ التي كانت اكبر مساعد للسيَّاح في الشرق ألحُّوا عليهِ ان يرافقهم في سياحتهم لمعرفتهِ بوطنهِ اكثر من غيرهِ . فاجاب الى دعوتهم وطمع بما ارصدهُ لهُ اولئك السيَّاح من الراتب الوافر واسباب الراحة وما كان يجول في خاطرهِ من حبّ تفقُّد الآثار في بلاده التي كان يسمع بها ولا يراها . ولمَّا كانت العطلة المدرسيَّة قد دنت عاد الى بيتهِ وعقد العزم على ان يرافقهم كترجمان فابحروا الى بيروت وهو معهم وقد عرَّجوا في طريقهم على كثير من المدن وتفقَّدوا آثارها فسُرَّ ممَّا وقف عليهِ من غرائب العمران القديم ورأى في هذا السفر فائدة لم يكن قد ادرك منها شيئاً يوم ذهابهِ الى ازمير وقد تنبَّه الى حاجة السيَّاح من اللغات الشرقيَّة فساعدهُ ذلك على اتمام تآليفهِ التي كان قد نشر بعضها واعدَّ موادَّ غيرها

وبعد ان وصلت الباخرة مدينة بيروت واستقرَّ بهم المقام قابل كثيرًا من اصدقائهِ ثمَّ صعد ورفيق من السيَّاح لمسهُ المسيو انطون الى زبوغة وضربا موعدًا لرفاقهم الاخرين الى زحلة في ٢٤ ايار ١٨٤٨

فسار ناصيف ورفيقه على رمال بيروت المحرقة راكبَين والموج يتكسَّر بين قوائم دابَّتيهما الى ان بلغا انطلياس فعاجا بمغارتها وشاهدا بعض المناظر الطبيعيَّة فيها والطبقات الصخريَّة وكان المسيو انطون ولعاً بالجيولوجيَّة فشاقتهُ تلك المشاهد والتضاريس والنخاريب

وقد أثَّر في نفسه مرأى بيروت من تلك الاسناد ورأسها الداخل في البحر ثم ما حولها من الدساكر والقرى والرمال المحدقة بالاوزاعي وخضرة صحراء الشويفات وما يليها . وكلما كانا يصعدان في تلك الهضاب كان يتمايلها من الاديار القائمة على المرتفعات والقرى والمناظر الطبيعيَّة ما انبسط لهُ قلب ذلك السائح فسرَّح فيهِ بصرهُ واخذ بعض الرسوم بيدهِ وهكذا كانا يتراوحان بين مناظر البرّ الجميلة وزرقة البحر الهادئ الذي كانت المراكب والزوارق تتهادى فيهِ وتتخطَّر متوخية الى ان اشرفا على قرية بيت شباب فأخبرهُ ناصيف انَّ هذه القرية قد تفرَّدت بصبّ الاجراس والصنائع النفيسة فلم يكد يصدّق ان تلك الصناعة موجودة هناك وان بني نقَّاع اقتبسوها بالمزاولة . ثم بعد قليل وصلا بكفيَّا وهناك اصبحت المناظر الغريبة في اجلى مشاهدها وكان جبل صنين المكلَّل بالثلج كانهُ رقيب ينظر اليهما وفي سفوحهِ وعلى اسنادهِ القرى والاشجار . وكان الآباء اليسوعيُّون قد انشأوا في تلك القرية ديراً منذ نحو عشر سنين

وما قطعا بكفيَّا ووصلا قرية الحدثة حتى رأى ناصيف ذوي قرباه فيها يتقاطرون للتسليم عليهِ ولتهنئتهِ بالعود سالماً ثمَّ استأنفا سيرهما منحدرين في وادٍ كبير منفرج متجلبب بالاشجار النضرة المختلفة الاجناس فترجَّلا ومشيا في شعاب ضيِّقة ادَّت بهما الى عين قرية ابي ميزان ثمَّ توقَّلا عقبة صعبة المسالك اوصلتهما بعد ظهر ذلك اليوم الى قرية زبوغة مسقط رأس ناصيف وهي في اعلى تلك العقبة . فسُرّي عنهُ الهمّ والتعب عند اجتماعهِ بوالدتهِ واخيهِ وشقائقهِ وذوي قرباه وتقاطرت أسرتهُ من كثير من القرى المجاورة للتسليم عليهِ وفي مقدَّمتهم السيد اغابيوس من مصيفهِ دير مار سمعان وسُرُّوا جميعهم بمشاهدتهِ ورأوا من نجاحهِ ومنزلتهِ ما اناهم وحشة هجرهِ اياهم

ثمَّ بعث الى بلاد جبيل بمن استقدم والدهُ الياس اليهِ فقابلهُ بلهفة والدية وصرف بضعة ايام تفقَّد فيها مع رفيقهِ انطون بعض الآثار في محلة زرعاية قرب دير القديس سمعان المارّ الذكر واستنسخا الكتابات القديمة في تلك الضواحي مثل كتابة

قنطرة عين القبو وأخرى تحت قرية كفرعقاب في وادي الجماجم (١ ورأيا بعض الابراج القديمة والنواويس وما شاكل من الآثار. وقد صعدا في مساء يوم الى محلة المنارة فوق كفرعقاب حيث هناك اشجار الصنوبر تكلل المرتفعات واستشرفا كثيرًا من جهات كسروان والمتن. ورأيا من هناك عند غروب الشمس جبال قبرس وهو منظر بديع يسحر الالباب

ثم ودّع أسرتهُ في صباح الثلثاء في ٢٧ تموز وقصد زحلة مع رفيقهِ حيث ضربا ذلك اليوم موعدًا للقاء رفاقهما فيها . فرًا في كفرعقاب حيث كان الاهل يتقاطرون لتوديعهِ ثم وصلا بكفتا ورأيا بعض آثارها . وعاجا بنبع صنين المشهور ثمَّ بينابيع أخر على طريقهم مثل عين السواعير وعين حزير الى ان اشرفا على زحلة وهي في وادٍ ضيّق والبيوت منضّدة فيها تنضيد حبوب الرمّان والنهر يقسمها الى قسمين الجنوبي منها اكثر عمرانًا من الشمالي وشجر الكروم يكسو اعاليها نضارةً . فوصلاها بعد الظهر (٢ فاقبل بنو المعلوف وغيرهم عند ما عرفوا بوصول ناصيف للتسليم عليهِ وفي مقدّمتهم الطيّب الذكر المطران باسيليوس شاهيات مطران الفرزل وزحلة الآنف الذكر ووكيلهُ المرحوم الخوري فيلبُّس النُّمَير (٣ فاخبرهُ المطران انَّ الهواء الاصفر منتشر في حلب واراه كتابًا من اخيهِ الياس شاهيات الحلبي يقول لهُ فيهِ انهُ يموت في كل يوم ٢٠٠ نسمة وان ذلك الوباء قدم حلب عن طريق مصر

وثالث يوم الخميس في ٢٩ تموز قدم زحلة أسر كثيرة من دمشق لوجود الهواء الاصفر فيها (٤ فذهب ناصيف مع رفقائهِ حالًا الى مدينة بعلبك فتفقّدوا آثارها وأعجب

---

١) ان تاريخ تلك الكتابة في سنة ١٠٢٥ م. وقد قرأها صديقي الاب فان كسترن اليسوعي الذي استنسخها وسمّى الوادي بهذا الاسم لموقعة جرت فيهِ بين القيسيين واليمنيين قاتلاً جماجم قتلى كما قيل

٢) ذكر وصول ناصيف الى زحلة في هذا التاريخ المرحوم الخوري فيلبس النمير في يوميَّتهِ التاريخيَّة وهي مفيدة ولن تزال مخطوطة ولديَّ نسخة منها

٣) انَّ لهذا الاب الفاضل آثارًا مفيدة كما مرَّ ذكره ومنها اليوميَّة التاريخيَّة ولهُ رحلة للنسمة

٤) من المتناقل على السنة سكّان زحلة الى اليوم ان الهواء الاصفر لم يُصَب بهِ احد منهم ولكن الخوري فيلبُّس هذا يذكر في يوميَّتهِ التاريخيَّة انهُ في ٢٦ آب من هذه السنة مرض فيها ثلاثة بالوباء وتوفي منهم اثنان

ناصيف بنظرها لانهُ لم يكن قد زارها مع قربهِ منها . وتلك عادة سكّان بلادنا ولاسيّما في تلك الايام القديمة فانهم لا يعبأون بمثل هذه المناظر التي تستقدم اليها السيّاح من سحيق الاقطار . وعادوا حالًا الى زحلة فبيروت واجتزأوا عن سفرهم الطويل فسافروا الى ازمير وما وصلوها حتى بلغهم ان ذلك الوباء قد تفشّى في بيروت ايضاً في منتصف شهر آب فشكر ناصيف الله على سلامتهِ وعرف منذ ذلك الحين حاجة السيّاح الى كتب باللغات الشرقيّة ولاسيّما العربيّة والفارسيّة والتركيّة فشرع في وضعها على احسن اسلوب كما سيجيء فصرف اناء الليل بأطراف النهار واصلًا سواد ذاك ببياض هذا مكبًّا على التأليف ولاسيما بعد ان قرأ اقتراحات علماء الشرقيّات بكتابة لفظ الكلمات التركيّة بحروف افرنجيّة فنالت عندهم منزلة واخذت تذيع بين العلماء (لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Ch. Diehl, Etudes byzantines.
Paris, Picard in 8° 1905 p. VIII - 440 avec 58 figures dans le texte.

الدروس البيزنطيّة

إنَّ لمسيو ديل الشهرة الطائرة في الدروس البيزنطيّة ولهُ فيها الحكم النافذ لما لهُ من التآليف في هذا الموضوع فقد ألّف عشرة كتب باقل من عشرين سنة في المسائل البيزنطيّة والمجلّد الذي نحن في صددهِ على بساطة عنوانهِ لا يقصر عن سواه في استلفات انظار الخاصّة من الباحثين في المسائل البيزنطيّة وانظار عموم المتأدبين الذين لا يستخفون بمسألةٍ موضوعها الصناعة او التاريخ فالمجلد يحتوي على خمسة عشر فصلًا وينقسم الى ثلاثة اقسام : ١ تاريخ الدروس البيزنطيّة ٢ بحثٌ مطوّل عن التمدّن البيزنطي ٣ الفن البيزنطيّ اصلهُ وبعض طرفهِ . على انهُ ليس من قصدنا ولا بوسعنا ان نتأثّر خطى المؤلف متتبعين فصول كتابهِ فصلًا فصلًا ولا ان نلخّص كتابًا ضافي الذيل بالغًا حدّ الافاضة فنكتفي بالاشارة الى اهم فصولهِ (٣٣٧ — ٣٥٣) حيث يبحث المؤلف عن مسألة مصادر الفن البيزنطي الاسيويّة . فمن بضع اعوام كثر الجدال وتضاربت الآراء في البحث عن الوسائل التي ساعدت على نشأة الفن المسيحي